

الفصل 5 التفسير عبر التاريخ

إن أي دارس للكتاب المقدس لا يمكنه تجنب معرفة تاريخ التفسيرات الكتابية، فالدارس يلاحظ الاتجاهات والتطورات في الفكر اللاهوتي عبر الزمن. وبالنسبة لنا، نستشهد يقينًا بالإسهامات التفسيرية الإيجابية التي قدمها في الماضي لاهوتيون أتقياء. لا بد أن نتعلم كيف ناضل رجال الله في كثير من القضايا التي نناضل نحن فيها اليوم. علينا أن نستفيد من هؤلاء المعلمين العظام. ولكن في نفس الوقت، لا بد أن نحترس من الأخطاء التفسيرية التي ارتكبتها غيرهم¹. أما التفسيرات الخاطئة فتقينا من ارتكاب نفس الأخطاء مرة أخرى.

أولاً: التفسير اليهودي

عزرا، فترة ما بعد السبي

إن الاختلافات اللغوية والثقافية الموجودة جعلت التفسير بالفعل ضرورة قصوى كي يفهم الناس آنذاك النصوص المقدسة. عند محاولتهم فهم النصوص العبرية، واجه يهود بابل الذين عادوا إلى أورشليم بعد السبي فجوة لغوية، إذ كانوا يتحدثون الآرامية وليس العبرية، لذا، ما فعله عزرا كان يمثل في المقام الأول إعادة صياغة للنصوص، ليساعد الناس علي فهمها².

الترجوم

تعني اللفظة العبرية "ترجوم" أن يفسر. ويشرح بروس متزجر، *Bruce Metzger*³، الترجمات على النحو الآتي: عندما صارت اللغة الآرامية لغة التحدث بين اليهود بدلاً من العبرية، ترسخت تقاليد جديدة في المجامع، إذ كانت تتم قراءة مقطع كتابي، وبعدها، يقوم أحدهم بإعادة صياغته بالآرامية. كانت الترجمات تفسيرية في طبيعتها وليست ترجمات. في بعض الأحيان كانت عبارة عن إعادة تقرير بسيطة لما تمت قرائته. وفي أحيان أخرى، كانت توسع ما جاء في المقطع الكتابي أو تناقضه. لقد خرجت الترجمات للوجود أصلاً، لتسديد احتياجات غير المتعلمين من الشعب الذين لم يكن في استطاعتهم فهم قراءات العهد القديم باللغة العبرية.

ومن ناحية التفسير، كانت بعض الترجمات خيالية تماماً في تفسيراتها، كترجوم يونانان، الذي يتضمن بعض الأمثال الشيقة لحكمة الربيين⁴ اليهود. وفي تفسيره لنص (تك: 1: 27)، يقول: "خلق الله الإنسان على شبهه، علي صورته خلقه، وبه 248 عضواً، كما زوده بأعصاب عددها 365 عصباً، ثم كساه بالجلد، وملاه باللحم والدم، ذكرًا وأنثى خلقهما في جسديهما"، ويرجع السبب وراء هذه الأعداد إلي إشارة ترجوم يونانان إلي تقليد ربيني قديم يقسم وصايا الناموس البالغ عددها 613 وصية إلي 248 وصية إيجابية، والباقي 365 وصية سلبية، فعندما يكون عدد أعضاء جسد الإنسان مساوياً لعدد الوصايا، يكون المقصود من (تك: 1: 27)، أن الله خلق الإنسان من أجل حفظ وصايا التوراة كلها بكل عضو من أعضاء جسده وبكل عصب من أعصابه⁵.

المِدرَاش، *Midrash*

تشير اللفظة العبرية "مِدرَاش" إلي مجموعة التعاليم التفسيرية والوعظية للكتاب، والتي كانت تمثل طريقة السرد القصصي المستخدمة من قِبَل الربيين الفريسيين. وفيما يتعلق بالتفسير، كانت تفسيرات بعضهم حرفية جداً، بينما استخدم البعض الآخر طرقاً خلاقية وخيالية، وربما معقدة جداً، إذ كانوا يملكون

¹ Most material of this lecture is taken and quoted from, "Ramm, Bernard, *Protestant Biblical Interpretation*, . Grand Rapids: Baker Book House, 1970."

² Ram, p.45-50

³ <http://www.bible-researcher.com/aramaic4.html>

⁴ مفردتها رَّبِّي، *Rabbi*، وهي كلمة آرامية تعني معلّم، وقد خاطب تلميذي المعمدان السيد بالقول "رَّبِّي" بفتح الراء في (يو: 38)، المترجم.

⁵ <http://www.bible-researcher.com/jewish-interpretation.html>

رغبة قوية في ربط كل كلمة في النص بوصية ما. قد سرّهم عمل هذا الأمر إذ بدا أنه يوضّح مهاراتهم، وعلي سبيل المثال، تمنى أحد الرّبيين أن يري في (تك: 1: 1) إشارة للتوراة؛ ففسّر عبارة "في البدء"، أي "بريشيت" في العبرية تفسيرًا غريبًا. نادى أن حرف "الباء" في لفظة "بريشيت" لا يعني "في" بل يعني "من أجل"، أما لفظة "ريشيت" فتعني "بدء، أو رأس، أو أول"، لكن لم يقرأها بدء إذ حدد أنها تعني "أول" وربطها بلفظة "أول" التي تشير عند الرّبيين اليهود إلى التوراة في القول: "الرّبُّ فنّاني أوّل طريقه"، (أم: 8: 22). ومن ثم قرأ (تك: 1: 1) على هذا النحو: "لأجل التوراة خلق الله السموات والأرض"⁶.

التلمود، Talmud

كان التعليم اليهودي أصلاً شفويًا، ناقشَ وشرّح فيه الرّبيون الشريعة بالتفصيل؛ أي كتابات العهد القديم العبرية تتخّ7. وبعد الثورة الكبرى عام 66م، وتدمير الهيكل عام 70م، والتمرد اليهودي العظيم بقيادة باركوكبي عام 135م، والذي قُتل فيه أكثر من مليون يهودي، قرّر الرّبي يهوذا الأمير أن يسجل شرح الشريعة الشفوية لأول مرة، لخوفه من فقدان التعاليم الشفوية، بسبب مقتل الكثير من الرّبيين والمتقنين. وهكذا، يُعتبَر التلمود تجميع مكتوب للمناقشات والشروحات الشفوية للناموس. بعد ذلك، تم ترتيب التلمود بحسب الموضوعات: السبت، الأعياد، القانون المدني، الزواج، الطلاق، الذبائح⁸. احتوى التلمود أيضًا علي المناقشات الرّبيّية التي لها علاقة بالناموس اليهودي، والأخلاق، والعادات، والتاريخ. ويمثّل التلمود، من حيث الأهمية النصّ الأساسي لليهودية الرّبيّية، كما يُعتبَر الكتاب الثاني فقط إلي جانب الكتاب المقدس العبري. ويحتوي على جزئين رئيسيين: المشناه، Mishnah، 200م، والجمارا، Gemara، 500م، التي تشرح المشناه والكتابات المرتبطة بالحكماء الرّبيين المسجلة آرائهم في المشناه، من عام 70م إلي 200م تقريبًا⁹.

المشناه، Mishnah

المشناه هي التعاليم الرّبيّية الملحقة بنص الكتاب المقدس، وقد كُتبت بالعبرية، وجميع كتابتها من مواطني الأرض المقدسة. ورغم أنها كُتبت غالبًا ما بين القرن الأول والثالث الميلادي، هناك مزاعم تنادي بأن بعض التقاليد المدونة فيها تعود بتاريخها للقرن الخامس ق.م أي لزمن عزرا، ونحميا¹⁰. ولا يُعتبر معظم علماء الكتاب اليهود طريقة الشروحات الغريبة، والخيالية في المشناه، وغيرها من الكتابات اليهودية الأخرى الأقدم بالطريقة المثلى أو الأفضل في التفسير. وذلك لأن معظمهم، كالعلماء المسيحيين، يستخدمون مبادئ التفسير الاستدلالي اللغوي والتاريخي. وفي الوقت الراهن، يركّز وعاظ المجامع علي المعني الحرفي أولاً ثم يستخدمون إيضاحات وعظية، أو قصصًا من أجل شرح نقاط عظاتهم¹¹.

ثانيًا: التفسير في عصر آباء الكنيسة الأول، (100-450م)

أثناء هذه الفترة، تعاملت الكنيسة مع الكثير من القضايا اللاهوتية التي أمنت بها ولا تزال تؤمن بها حتى هذا اليوم. مثّلت مدينتي الإسكندرية، وأنطاكية أهم مراكز الفكر اللاهوتي آنذاك، إلا أنهما طورتا اتجاهين مختلفين في طريقة تفسير النصوص الكتابية: كانت الإسكندرية مركزًا للتفسير المجازي، في حين ركزت أنطاكية علي التفسير الحرفي¹².

مدرسة الإسكندرية، التفسير المجازي

⁶ <http://www.bible-researcher.com/jewish-interpretation.html>

⁷ "تنخّ، Tanakh"، هي الحروف الثلاثة الأولى لثلاث كلمات: التاء تشير إلي الحرف الأول من لفظة توراة؛ أسفار موسى الخمسة، والنون تمثل الحرف الأول من لفظة تينيم، أي أسفار الأنبياء، والخاء والتي يمكن نطقها كاف، تعني كتوبيم أي الكتابات، وبهذا تشير تنخ إلي العهد القديم بحسب التقسيم العبري، المترجم.

⁸ www.jewishvirtuallibrary.org/jsource/Judaism/talmud_&_mishnah.html

⁹ لمزيد من المعلومات يمكن للطلبة وخاصة قراء اللغة الإنجليزية زيارة المواقع الإلكترونية التالية:

- <http://people.ucalgary.ca/~elsegal/TalmudPage.html>
- <http://www.sacred-texts.com/jud/wott/wott07.htm>

¹⁰ www.acs.ucalgary.ca/~elsegal/TalmudMap/Mishnah.htm

¹¹ <http://www.bible-researcher.com/jewish-interpretation.html>

¹² www.apuritansmind.com/HistoricalTheology/PatristicPeriod.htm

يعني المجاز تشبيه أو تصوير ممتد معطياً للفظه معنًى مغاير لمعناها الحرفي. وقد استخدم كثيرون من كتبة الأسفار الكتابة المجاز. من المهم أن نلاحظ أن ثمة فرق بين المجاز والتفسير المجازي. يسمح التفسير المجازي بأن يخلع المفسر على الأشياء، أو الأشخاص، أو الأفعال في قصة أو نص الغريب من المعاني التي تقع خارج إطار المعنى المباشر والحقيقي للنص. وتختلف الطريقة المجازية في التفسير عن المجاز الحرفي المكتوب عن عمد بواسطة كاتب السفر بغرض نقل رسالة محددة في إطار تاريخي معين، إذ يقرر الكاتب عادة بأن ما كتبه كان مجازاً، أو يقدم إشارات تدل على ذلك. ومن أمثلة الكتابات المجازية كتاب "رحلة السائح المسيحي"، للكاتب يوحنا بينيان، *John Bunyan*. ويمكن أن نجد أمثلة كتابية عن المجاز الحرفي في كل من (مز80؛ يو15؛ قض9: 8-15)، حيث نرى الأشجار في (قض9: 8-15)، تطلب ملكاً، وفي (2صم12: 1-4)، عندما وبعّ النبي ناثان الملك داود، أيضاً نقراً في (جا12: 2-6)، قراءة مجازية تقدّم وصفاً عن الإنسان في شيخوخته¹³.

تأسست مدرسة الإسكندرية عام 180م، كما أصبحت المركز الرئيسي للتفسير المجازي. آمن رواد هذه المدرسة بوجود معنى روحي خفي وراء المعنى الحرفي الواضح للنص. والمعنى المجازي متاح فقط لنوعي الأذهان الروحية السامية. وبالرغم من وجود بعض الحدود الموضوعية علي التفسير المجازي من قبل قادة معينين، إلا أن معظم المفسرين الذين استخدموا هذه الطريقة كانوا أحراراً في استخراج معاني خفية من النصوص كل بحسب قدراته، أو بحسب ما كان يروق له. في الواقع، كان اليونانيون أول من طوّروا الطريقة المجازية في التفسير، وذلك بسبب ما كانت تحتويه كتاباتهم الدينية القديمة من قصص خيالية سخيصة، لا أخلاقية عن آلهتهم. ولم يكن بمقدور العقلاء من مفكري اليونان وفلاسفتهم احتقارها لتأثير تلك الآلهة الكبير علي الناس. ومن أجل الوصول إلي حل لهذا التوتر، ابتكروا الطريقة المجازية في تفسير هذه الكتابات؛ فنادوا بأن القصد وراء قصص الآلهة ليس أن تُفهم حرفياً بل مجازياً، لفهم المعنى الخفي والسري ورائها.

وعندما تأدّى اليهود من احتقار فلاسفة اليونان لتفسيراتهم الساذجة للكتاب، لجأوا هم أيضاً للطريقة المجازية، متأثراً بهم في الشرح والتفسير، مستخدمين نفس السلاح الذي استخدموه قبلاً. كان يهود الإسكندرية أول من استخدموا التفسير المجازي¹⁴. ويؤكد رام بأنهم سعوا وراء مصالحة النصوص العبرية لكتبهم مع الفلسفة اليونانية¹⁵، ولكي يحققوا ذلك، فسروا مجازياً كل النصوص وبشكل يتناسب مع المعايير الفلسفية اليونانية السائدة وقتهم. كان فيلو اليهودي، *Philo*، 20 ق.م – 50م، من أعظم المفسرين المجازيين البارزين آنذاك. لم يعتقد فيلو أن المعنى الحرفي الظاهري عديم الفائدة، لكن اعتبره أقل نضجاً، وذلك لأن الطريقة المجازية تحظى بفهم روح النص. أيضاً، آمن فيلو أن المفسر عليه أن يستخدم هذه الطريقة كلما وجد في النص الآتي:

- جملة تقول أي شيء غير جدير أو لائق بالله.
- جملة تناقض جملة أخرى أو جملة صعبة الفهم.
- كتابة نصية مجازية في طبيعتها كنص يستخدم الرموز.

ومع أن بعض التفسيرات كانت معقولة لوجود عناصر مجازية، ورمزية، وتصويرية في النصوص المقدسة، إلا أن استخدام التفسير المجازي في هذه الفترة أدى إلي بدع خيالية، وتفسيرات غريبة. وقد تأثر مسيحيو الإسكندرية فيما بعد بالمجازية اليونانية واليهودية في التفسير، والتي سادت الكنيسة حتى زمن الإصلاح، وقد تبنتها الكنيسة للتعامل مع النصوص الصعبة. وبسبب إيمان الكنيسة أن الكتاب المقدس كتاب روحي، اعتقدوا بأنه يحتوى على معنى روحي عميق وخفي، يمكن شرحه بالمجاز. تأثر اللاهوتيون المسيحيون الأوائل بشدة بالتفسيرات التي أقرها كتبة العهد الجديد لبعض نصوص العهد القديم؛ فساروا علي نفس النهج، مستخدمين المجاز في تفسيرهم، بدافع تقديم دليل لليهود والمؤمنين الجدد بأن العهد القديم

¹³ من أجل التوضيح، ستم مناقشة الفرق بين المجاز والرمز والمثال في محاضرة مستقلة بذاتها، المترجم.

¹⁴ www.jewishencyclopedia.com/view.jsp?artid=1256&letter=A#3301.

¹⁵ Ramm, p, 25-29

وثيقة مسيحية، وأن المسيح هو التحقيق الكامل لكل مواعيده ونبواته. ومع أن حقائق الإنجيل تأكدت بتفسيرهم المجازي، إلا أن مشاكل كثيرة يمكن أن تنجم عند استخدام الطريقة المجازية ومنها الآتي:

1. يلغي التفسير المجازي المعنى التاريخي، ولذا يفتقر إلي مبدأ ثابت في شرح النص.
2. يختلط التفسير المجازي بالمثالي، *typology*، الذي نجد فيه آدم، ونوح مُثل للمسيح.
3. يعتقد المفسر أن نصوص العهد القديم تحتوي على الفلسفات اليونانية، ومن ثم يصبح هدفه اكتشاف فكر البشر لا فكر الله.
4. يجعل التفسير المجازي المعنى الواضح والحقيقي لكلمة الله مشوشاً.
5. يخلو التفسير المجازي من التماسك، والترابط، فالمفسر ذاتي يسير وفق ما يروق له.
6. يسبب التفسير المجازي ظهور الكثير من البدع والهرطقات والطوائف المنحرفة¹⁶.

أمثلة لبعض المجازيين العظام

• أكليمندس السكندري، *Clement of Alexandria*، 215-150 م

كان يسعى في تفسيره لأي نص كتابي إلي اكتشاف خمسة معان كالتالي:

1. المعنى الحرفي: الذي يتعامل مع القصة أو النص كحدث فعلي في التاريخ.
2. المعنى الأخلاقي: الذي يؤكد علي التعاليم الدينية، واللاهوتية، والأخلاقية الواضحة.
3. المعنى السري: الذي يتضمن الحق الروحي العميق.
4. المعنى النبوي: الذي يشتمل علي النبوات، والمُثل، *types*.
5. المعنى الفلسفي: الذي يتبع التفكير الفلسفي الرواقي اليوناني.

ويقدم لنا أكليمندس مثلاً لطبيعة لتفسير المجازي المنفلتة من خلال شرحه لقصة هاجر جارية إبراهيم، بقوله، يرمز إبراهيم للإنسان الأمين، في حين تشير هاجر إلي محبة الحكمة الدنيوية، أما سارة فتشير إلي محبة الحكمة الحقيقية. وعندما قال إبراهيم لزوجته: هُوَذَا جَارِيَّتُكَ فِي يَدِكَ. أَفْعَلِي بِهَا مَا يَحْسُنُ فِي عَيْنَيْكَ، (تك16: 6)، كان يعني بأنه مع هاجر الجارية كان متمسكاً بثقافة دنيوية كشاب لعوب، لكنه الآن يعظم ويوقر الحكمة الحقيقية التي تمثلها سارة كزوجة له. ويكتب عنه سيدني جريدانوس¹⁷، *Sidney Greidanus*: "بكل وضوح لا يظهر أكليمندس أي اهتمام علي الإطلاق لقصد كاتب هذه القصة من أجل إسرائيل، كما لا تلعب تاريخية النص أي دور في تفسيره. ويمكن له، باستخدام التفسير المجازي أن يستنتج نفس المعنى من أي قصة أخرى في أي نص آخر يتحدث عن أي شعب من الشعوب القديمة." إن ضلال التفسير المجازي هو أن المفسر يقرأ في النص ما يتمسك به بالفعل أو ما يفضله، بدلاً من أن يكتشف ما يقصده كاتب النص فيما يختص بنظرته عن العالم، وترتيبه للقيم¹⁸.

• أوريچينوس، *Origen*، 254-185 م

بالنسبة للتفسير المجازي، يعتبر أوريچينوس أعظم لاهوتي عصره. اعتقد أن الكتاب المقدس كتاب روحي، ولنصوصه ثلاثة مستويات من المعاني: الحرفي والأخلاقي والروحي. ويتم اكتشافها من خلال روحنتها. وبالرغم من أنه أعظم المجازيين، إلا أنه أدرك أهمية الطريقة الحرفية في التفسير واستخدمها، كما أقر بأنه يوجد تناظر بين المعنى المجازي والحرفي. فلا يمكن ببساطة للمعنى المجازي أن يكون أي شيء يريده المرء، بل يجب أن يكون مرتبطاً بالمعنى الحرفي. ومع أن الكنيسة تعتبر أوريچينوس هرطوقياً بسبب بعض آرائه اللاهوتية، إذ كانت بعض تفسيراته جامحة جداً لو تناولناه بجديّة اليوم، إلا أنه ساهم في تقديم تعليم عظيم للكنيسة، بل أننا نتبع بعضاً من مبادئه التفسيرية حتى هذا اليوم، ومن أمثلة هذه المبادئ ما يلي:

¹⁶ لمزيد من المعلومات يمكن للطلبة وخاصة قراء اللغة الإنجليزية زيارة الموقع الإلكتروني التالي:

<http://www.jewishencyclopedia.com/view.jsp?artid=1256&letter=A&search=Allegory#3301>

¹⁷ Sidney Greidanus, *Preaching Christ From the Old Testament*, Grand Rapids: William B. Eerdmans, 1999, 82.

<http://dividetheword.org/node/302>

¹⁸ Ramm, p, 83

1. يجب أن يكون التفسير بحسب قانون الإيمان، *the rule of faith*، آمن أوريغينوس أن في الكنيسة القويمة فقط العقائد التقليدية المستلمة من المسيح، (Contra Celsum 5: 61).
 2. يجب تفسير النصوص الغامضة على ضوء الواضحة، (Contra Celsum 7: 11).
 3. يجب أن يكون المفسر مؤمناً بأن النصوص المقدسة إلهية المصدر.
 4. يمكن فهم النصوص المقدسة بواسطة الذين فيهم روح المسيح فقط¹⁹.
- حقاً، كانت طريقة أوريغينوس في التفسير الاستدلالي الروحي خليطاً من الطريقة المجازية والحرفية؛ فلم يكن مجازياً علي الإطلاق، كما طبق بعض المبادئ السليمة للشرح الاستدلالي²⁰.

مدرسة أنطاكية، مدرسة التفسير الحرفي

- يعتقد رام أن أي نص كتابي يجب تناوله حرفياً إن لم يوجد به شيئاً يدل علي ما يخالف ذلك. في نفس الوقت، يجب تفسير الصور الجمالية، والقصص التمثيلية، والاستعارات المجازية الواردة بالنص بحسب المقصود منها، إذ لا يجب التعامل معها حرفياً. ويؤمن الحرفيون أن المفسر يجب أن يقبل بالمعني الحرفي، إن لم يوجد مبرر واضح لعدم القبول²¹. وقد تطوّر التفسير الحرفي بين اليهود. ومن مبادئه ما يلي:
1. يجب فهم اللفظة في إطار علاقتها بالجملة.
 2. يجب مقارنة النصوص التي تتعامل مع نفس الموضوعات مع بعضها ببعض.
 3. للنص الواضح أسبقية وأفضلية عن النص الغامض.
 4. يجب تحديد تطبيق أي نص كتابي علي حياة المرء عن طريق المضمون، أو المبادئ اللاهوتية التي يتم اكتشافها في النص. ولا زال هذا الإجراء معيارياً في التفسير اللاهوتي.

وقد تهادى البعض في تناول هذه الطريقة، فطوروا ما يعرف باسم الحرفية المتطرفة، *hyper-literalism*، والتي بحسبها تصبح اللفظة الواحدة دلالات لغوية أكثر من اللازم، إذ يتم فهم الحروف لتمثل ألفاظ أخرى. كما يتم إعطاء قيمة عددية للمفردات. إن المعلمين الربيين في إتباعهم لهذه الطريقة، رفّعوا من شأن الحروف نفسها علي المعني الواضح لمفردات النص، لتضيع معانيها في متاهات الحرفية المترتبة.

تأسست هذه المدرسة عام 200م، عندما لاحظ مسيحيو أنطاكية مساوئ وتطرف اليهود في حرفيتهم، والسكندريين في مجازيتهم. قاومت هذه المدرسة مجازية أوريغينوس. ومن لاهوتيين المدرسة القيايين الذين تأثروا بهذه المدرسة جبروم، وديودور الطرسوسي، *Diodore of Tarsus*، وتيودوروس المبسوستي، *Theodore of Mopsuestia*، وثيودور من *Cyrrhus*، ويوحنا كريسوستم، *John Chrysostom*. وبسبب هذه المدرسة، تم تعديل طريقة التفسير المجازية التي اشتهرت في الكنيسة الغربية عبر الزمن.

نبذة عن رواد المدرسة الأنطاكية

- **يوحنا كريسوستم، أو يوحنا ذهبي الفم، John Chrysostom**
 وُلدَ ذهبي الفم في أنطاكية سوريا، وهو من أعظم الوعاظ الأوائل. اتبع في عظاته الطريقة الأنطاكية في التفسير التي أمنت بالمعني الحرفي الواضح للنص أو بالمعني المجازي الحرفي له حال وروده فيه. والمقصود بالمعني الحرفي للنص معناه الظاهري الذي تكون فيه جمل النص واضحة وبسيطة، دون الحاجة إلي قراءة أي معني زائد عن المعني البسيط والواضح بالنص، وللمثال، يقول الكتاب: " .. وَكَانَ أَبْرَامُ ابْنُ خَمْسٍ وَسَبْعِينَ سَنَةً لَمَّا خَرَجَ مِنْ حَارَانَ"، (تك12: 4). أما الحرفية المجازية فيمكن أن نقرأها في قول الكتاب: "فِي كُلِّ مَكَانٍ عَيْنَا الرَّبِّ مُرَاقِبَتَانِ الطَّالِحِينَ وَالصَّالِحِينَ"، (أم15: 3). وتصف لنا

¹⁹ لمزيد من المعلومات يمكن للطلبة وخاصة قراء اللغة الإنجليزية زيارة الموقع الإلكتروني التالي:

<http://www.earlychurch.org.uk/origen.php>

²⁰ Dan McCartney, *Literal and Allegorical Interpretation in Origen's Contra Celsum*

http://www.earlychurch.org.uk/article_origen_mccartney.html

²¹ Ramm, p. 48-50.

الصورة الجمالية بهذا النص العلم الكلي لله. أكد أتباع هذه المدرسة علي القرينة اللغوية والتاريخية، وأصروا علي تقديم معنى تاريخي فقط لحوادث العهد القديم. كما قدموا المعنى المثالي، *typological*، وليس المجازي فيما يتعلق بالنصوص المسبانية. ويعلق رام: "كانت طريقة التفسير الحرفي التي تبنتها مدرسة أنطاكية الأساس الذي اعتمدت عليه حركة الإصلاح، وأخيراً أصبحت الطريقة الاستدلالية الرئيسية للكنيسة المسيحية"²².

• جيروم، Jerome

ترجم جيروم الكتاب المقدس إلي اللغة اللاتينية، المعروفة باسم الفولجاتا. وقد تأثر بمدرسة أنطاكية في التفسير الحرفي، كما طوّر بعض المبادئ التفسيرية السليمة. ويقول دي بور، E.A. de Boer في كتابه عن جيروم: "هو أبو التفسير الاستدلالي. وبالنسبة له، كان للنصوص الكتابية معني طبيعي أساسي، مع رسالة ما أخلاقية. ومع أنه لم يستخدم طريقة تفسير أوريجينوس، إلا أنه قرأ وترجم بعض أعماله، واستعار بعضاً من تفسيراته"²³.

أغسطينوس، Augustine

طوّر أغسطينوس دليلاً إرشادياً لعلم التفسير وعلم الوعظ باسم "العقيدة المسيحية"، ويقتبس رام، قول أغسطينوس، "إن المرشد إلي التفسير هو المحبة: المحبة لله والإنسان"²⁴. لكنه تأثر بطريقة التفسير مجازي كرد فعل للحرفية البغيضة لمذهب "المانية، Manicheanism"، الذي انتمى إليه قبل أن يؤمن بالمسيح. ومن مبادئه التفسيرية التي نستخدم الكثير منها إلي اليوم ما يلي:

1. يجب أن يكون مفسر الكتاب المقدس إنساناً مؤمناً خاضعاً لقيادة الروح القدس.
2. العهد القديم وثيقة مركزها المسيح.
3. عمل المفسر هو اكتشاف المعنى الحقيقي للكتاب، وليس إقحام المعاني الغريبة عليه.
4. يجب علي المفسر أن يستشير الأرثوذكسية الحقيقة؛ فالتفسير الحق لا يمكنه الابتعاد أو الانحراف عن قانون الإيمان، *the rule of faith*.
5. لا يمكننا القول بأن الروح القدس هو البديل للدراسة والتعليم المناسبين، فالمفسر يجب أن يكون ملماً باللغات اليونانية، والعبرية، والجغرافيا، والتاريخ، والعلوم الطبيعية، والفلسفة²⁵.
6. يجب أن يُخضع المفسر النصوص الغامضة للواضحة، فإن التفسير غير المؤكّد لا يمكن تناوله كموضوع للإيمان القويم.
7. يجب تفسير النصوص بتناغم مع النصوص الأخرى، فلا يمكن تفسير نص كوحدة قائمة بذاتها بل مرتبطاً بباقي النصوص الكتابية.
8. يجب أن يضع المفسر في اعتباره مبدأ الإعلان المتدرج للمكتوب.

ثالثاً: التفسير في العصور الوسطى

عاش أغلب رجال العصور الوسطى في جهل مطبق بالكتاب المقدس .. كان ينظر إلي الكتاب كلغز مليء بالأسرار التي لا يمكن فهمها إلا بطريقة سرية. كان أهم مبدأ تفسيري آنذاك هو أن يتوافق التفسير مع تعاليم وعقائد الكنيسة. وفي هذا الإطار قال هيجو من سانت فيكتور 1096-1141م، "تعلم أولاً ما يجب أن تؤمن به، وبعدها، اتجه إلي الكتاب لتجد ما تعلمته هناك"²⁶.

اعتمد المفسرون بقوة على آراء الآباء التي ورثتها الكنيسة عبر القرون. ويعرف مصدر آرائهم باسم السلسلة، *Catena* ... وقد تضمنت آنذاك تفسيرات جيروم وأغسطينوس ... وباستخدام هذا المصدر، *catena*، مال المفسرون إلي مطابقة تفسيراتهم مع المعايير العقيدية الثابتة للكنيسة ... لقد أصبح التفسير النصي مرادفاً للتقليد ... من المصادر الأخرى التي استند عليها المفسرون كتاب: *Glossa Ordinaria*،

²² Ramm, p. 50.

²³ E.A. de Boer *John Calvin on Visions of Ezekiel* p. 34, http://books.google.com/books?id=RR0_7RuCXhgC&pg

²⁴ Ramm, p. 96

²⁵ Ramm., p. 34-38

²⁶ B. D. Berkhof, *Principles of Biblical Interpretations*, P. 23.

وهو عبارة عن تجميع للتعليقات والتفسيرات التي دونها الدارسون بين سطور أو في الهوامش كتبهم المقدسة. على كل، ساد التفسير المجازي العصر الوسيط. كان للنص أربعة معانٍ ترنموا بها بالقول: يرينا المعنى الحرفي ما فعله الله وأباؤنا، يرينا المجازي موضع إيماننا، ويظهر الأخلاقي كيف نسلك في حياتنا، ويكشف لنا الأخرى أين ينتهي صراعنا. وللتوضيح، تعني لفظة أورشليم حرفياً المدينة اليهودية القديمة، وتشير مجازياً (أي لاهوتياً أو عقيدياً) إلى الكنيسة المسيحية، وتمثل أخلاقياً النفس الأمينة، أما أخروياً فهي أورشليم السماوية. ومع هذا لم يخلو العصر الوسيط من ظهور بعض المفسرين الذين أكدوا على أهمية التفسير الحرفي التاريخي ومنهم أندرو من سانت فيكتور في القرن 12م، الذي استبعد من تفسيراته الكتابية القضايا العقيدية والروحية المجازية²⁷.

يقرر چاستو. ل. جونزالز، *Justo L. Gonzalez*، عن رهبان العصر الوسيط بأنهم "قرأوا الكتاب بمسلمات مسبقة خاصة، كانت قراءتهم دعوة للكران الرهباني والتأمل. كما كانت تُعتبر الدليل العملي للأخلاق، والنسك كونها تُقرأ في سياق الصلاة والعبادة²⁸". كان برنارد من كليرفو، *Bernard of Clairvaux*، 1090-1153م، أحد الشخصيات البارزة في نهضة الحركة الرهبانية. أعاد تقليد التفسير الكتابي الرهباني لذروته. وبينما كان برنارد مكرساً للتأمل في إنسانية المسيح، انتبه للمعنى الحرفي، والتاريخي للعهد الجديد، خاصةً الأناجيل. ومع ذلك لم يكن غرضه من قراءة الكتاب المقدس الاستفهام عما يريد أن يقوله النص حرفياً، بل استفادة النفس في سعيها وراء الاتحاد بالمسيح. إن قراءة النص في إطار المجتمع الرهباني، أفسح أمامه الطريق، ليخرج منه بعدد متنوع من المعاني، بحسب حاجات النفس، فلم يكن الهدف هو المعرفة، بل محبة الله، فكل قراءة تقود إلى هذا الحب، هي قراءة حقيقية أمينة للنص. بالنسبة له، كان الغرض الروحي للاتحاد مع المسيح هو ما يمنح نصوص الكتاب وحدتها، ولذلك شعر برنارد، وتابعيه بالحرية تماماً في أن يفسروا الكتاب المقدس مجازياً، وخاصةً العهد القديم، والذي كانوا يقرأونه بطريقة تكشف عن المسيح في كل صفحاته. ومع احترام برنارد العميق للنصوص المقدسة، قال: "لم أعد بعد أرغب في الاستماع لموسى، الذي لا أجد فيه إلا شخصاً متلعثماً، ولا لشفاة إشعياء النجسة، ولا لإرميا الولد العاجز عن الكلام، فليصمت كل الأنبياء، لأستمع بالأحرى للذي منه، وعنه تكلموا جميعاً". كتب برنارد مجموعة من أعظم الترانيم التي ترنمها الكنيسة المسيحية إلى اليوم²⁹.

بنهاية العصور الوسطى، وقبل عصر النهضة، وبسبب الاستقرار السياسي النسبي لأوروبا، وإحياء الأدب الفلسفي اليوناني، وخاصة فلسفة أرسطو، ظهرت الحركة المدرسية، *Scholasticism*، التي انتشرت أولاً في المدارس الرهبانية، ثم انتقلت إلى الجامعات فيما بعد. ناصرت تلك الحركة التفسير الحرفي للكتاب. كانت هدفها الأساسي التوفيق بين المنطق البشري الأرسطي، والإيمان الكتابي. ويمثل توما الأكويني، *Thomas Aquinas*، 1225-1274م أشهر روادها ... أكد الأكويني على أهمية المعنى الحرفي للمكتوب وأقر بأن باقي المعاني تعتمد عليه، بل نادى بأنه يحتوي على كل ما هو لازم للإيمان. وهكذا، حرر المكتوب من عبودية التفسير المجازي التي طال أمدها. وبإيجاز، يمكننا القول إن التفسير المجازي وإن ساد على الكنيسة من ناحية، فإن الحركة المدرسية بإصرارها على استخدام المنطق في التفسير، أكدت على ذاتية التفسير المجازي، مشككة في مصداقيته من ناحية أخرى. لقد أبحرت هذه الحركة بالتفسير الكتابي النصي إلى مراسي أكثر عقلانية وموضوعية³⁰.

رابعاً: التفسير في عصر الإصلاح

"أمن المصلحون عموماً، بأن الكتاب المقدس هو الكلمة الموحى بها من الله ... كما اعتبروا أن له السلطة العليا، فهو يمثل محكمة الفصل النهائي لفض أية خلافات لاهوتية. ومقابل التأكيد على الكنيسة المعصومة من الخطأ، أكد المصلحون على عصمة الكلمة. ويتضح موقف المصلحين في بيانهم القائل: لا

²⁷ Klein, Dr. William W., Blomberg, Dr. Craig L., *Introduction to Biblical Interpretation*, p. 37-39.

²⁸ New Interpreter's Bible <http://personal.centenary.edu/~sbrayfor/gonzalez.htm>

²⁹ For example: O Sacred Head How Wounded Jesus; Thou Joy of Loving Hearts; Jesus, the Very Thought of Thee

³⁰ Klein, Dr. William W., Blomberg, Dr. Craig L., *Introduction to Biblical Interpretation*, p. 39.

يجب أن تحدد الكنيسة ما تعلمه الأسفار المقدسة، بل إن الأسفار المقدسة هي التي تحدد ما الذي يجب على الكنيسة أن تعلمه³¹.

رواد حركة الإصلاح

• مارتن لوثر

قال روبرت. م. جرانت، *Robert M. Grant*، "يدين التفسير البروتستانتي للكتاب المقدس بحياته لروح الإصلاح". جاهر لوثر بأنه لا يمكن إجبار أي مسيحي مؤمن على القبول بأية سلطة بعيداً عن سلطة النصوص المقدسة التي يمنحها لها الحق الإلهي علي وجه الحصر. تعامل لوثر مع كلمة الله علي أنها تفسّر ذاتها بذاتها للفارئ من خلال عمل الروح القدس، بالاستقلال عن الكنيسة، والمجامع، والآباء، والتقليد. النص الكتابي لم يكن يُفسّر من قِبَل الآباء، ولكنه يَحْكُم علي الآباء في اتفاهم أو اختلافهم معه. اقتصر جهد لوثر الرئيس علي أن يحرّر اللاهوت من قيود الفلسفة اليونانية والعودة إلي بساطة النص³². ومن خلال مبدأ "المكتوب وحده" الذي تمسك به، رسّخ المقدمة المنطقية التي تمثل الأساس للإصلاح³³.

بالرغم من أنه لم يرغب في إدراك أي شيء إلا المعنى الحرفي للنص، كما سخر من التفسير المجازي، إلا أنه لم يستطع أن يتجنبه بشكل كامل. على كل، كانت للوثر عدة مبادئ في التفسير أهمها ما يلي³⁴:

1. يجب أن يضع المفسر قرينة النص وظروفه التاريخية في الاعتبار.
2. يجب أن يتحلى المفسر بالإيمان والبصيرة الروحية.
3. يجب التسليم بمركزية المسيح في المكتوب. سعى لوثر وراء ذلك في كل موضوع بالكتاب.

• جون كالفن، Calvin

فصّل بالأمثلة وبعبرية التفسير المصلّح الجديد، وبرغم من تطور الدراسات الكتابية بعد القرن 16م إلا أن القليل منها يمكن أن يضاويه. اعتقد كالفن أن التفسير المجازي يمثل خطأً شيطانية تهدف إلي التشويش على معنى النص الكتابي. آمن بشدة بأن الكثير من مادة العهد القديم لها أهمية مثالية، *Typical* *Significance*، ولكنه لم يؤيد لوثر في الرأي بأن المسيح موجود في كل موضوع بالكتاب. اختزل كالفن عدد المزامير التي يُطلق عليها المزامير المصاوية. كما أكد على ضرورة تفسير الأسفار النبوية في إطارها التاريخي. واعتبر كالفن أن سمة التمييز الرئيسية للمفسر تتمثل في تفسيره الموجز والواضح، وأن العمل الأساسي له يكمن في السماح لكاتب النص بأن يقول ما أراد أن يقوله بدلاً من أن ينسب له ما يعتقد بأن الكاتب كان يجب أن يقوله³⁵.

وبشكل عام يمكن تلخيص مبادئ التفسير في زمن الإصلاح بحسب رام كما يلي³⁶:

1. يجب أن يتحلى المفسر بالإيمان، والروح القدس
2. يجب أن يقبل المفسر بسلطان الكتاب المقدس وحده فقط كسلطان نهائي.
3. يتبع المفسر مبدأ التفسير الحرفي؛ يجب أن يأخذ معنى كل لفظ موضعه الطبيعي.
4. يرفض المفسر التفسير المجازي، ومن الممكن استخدامه في وعظه متى ارتبط بالمسيح.
5. يؤمن المفسر بأهمية دراسة اللغات الأصلية.
6. يؤمن المفسر بوضوح المكتوب، فأني مؤمن كفاء يمكنه أن يفهم الكتاب المقدس.
7. يؤمن المفسر بمركزية المسيح في المكتوب، إذ أن الغرض من التفسير هو اكتشافه.
8. يميز المفسر بين الناموس والإنجيل في الكتاب. لأن أي خلط بينهما خطأ.

³¹ B. D, Berkhof, *Principles of Biblical Interpretations*, P. 26.

³² [http://www. Biblicalstudies.org.ul/artica](http://www.Biblicalstudies.org.ul/artica). http://www.biblicalstudies.org.uk/article_luther_s-wood.html, A. Skevington Wood, Luther's Principles of Biblical Interpretation.

³³ Klein, Dr. William, Blomberg, Dr. Craig, Hubbard, Dr. Robert, Jr. *Introduction to Biblical Interpretation*. p. 40

³⁴ B. D, Berkhof, *Principles of Biblical Interpretations*, p. 26-27

³⁵ B. D, Berkhof, *Principles of Biblical Interpretations*, p. 27

³⁶ Ramm, p. 53-57.

اشترك الوعاظ القدامى سواء من الآباء، أو العصر الوسيط، أو رواد عصر الإصلاح في نفس المعتقدات بأن الأسفار المقدسة هي رسالة مصدرها مؤلف إلهي واحد، وأن السياق الكتابي الذي في إطاره يجب تفسير أي نص كتابي هو الأسفار القانونية للكتاب بعهديه، التي تركز بشكل كامل على شخص المسيح وعمله³⁷. وبرغم اختلافات اللاهوتيين عبر العصور، إلا أنه يُنظر للكتاب المقدس من خلال تجسد المسيح، وصلبه، وقيامته، وصعوده³⁸

رد الفعل الكاثوليكي

عقدت الكنيسة مجمع ترنت الذي استمرت جلساته من 1545-1563م، ومن بين الأمور الكثيرة التي قررها المجمع: التمسك بالتقليد الروماني الكاثوليكي في التفسير. مع التأكيد على السلطة الكبيرة الممنوحة لترجمة الكتاب المقدس المعروفة باسم الفولجاتا، مع التشديد بقوة على منع أي شخص من تفسير الكتب المقدسة بشكل يناقض التعليم العقدي للكنيسة الكاثوليكية³⁹.

خامساً: التفسير في عصر ما بعد الإصلاح⁴⁰

المذهب التّقوي، *Pietism*

نشأت التقوية كرد فعل للعقلانية والعقائد التي طغت الكنيسة البروتستانتية بأوروبا خلواً من الإيمان الشخصي، ويُعد الراعي اللوثري، فيليب سبينر، مؤسسها. تأثر جون ويسلي بالقساوسة الموراف والزنزندورف، وقد جعل ويسلي للحركة تأثير ملموس بشكل كبير⁴¹.

المذهب العقلاني وقد أصر أنصاره مثل ديكارت، وهوبز، وأسبينوزا، ولوك، في القرن 17م، علي ربط الإعلان الكتابي بالإعلان الطبيعي، ميررين رفضهم للإعلان الكتابي بعدم تجانسه مع الإيمان. استند شكل مسيحية هؤلاء الفلاسفة بالكامل علي الإعلان الطبيعي.

المذهب الوجودي مثله الفيلسوف كانت، *Kant*، (1768-1834م) الذي أكد علي المشاعر كمركز لوعي الإنسان عن الله⁴².

النقد الكتابي، *Biblical Criticism*

قدّم النقد الكتابي للكنيسة تطوراً هاماً لفهم النصوص الكتابية. ومع ذلك، فعلي المستوى الروحي تنجم الكثير من الكوارث الروحية عند استعمال هذه الطريقة في التفسير بدون إيمان. لأن بعض من طوّروا الدراسات النقدية، عاملوا المكتوب بدرجة فقدوا فيها كل قيمة روحية، ومع ذلك، قدموا للمفسر الاستدلالي كثير من الأدوات التي تساعده على فهم النص. وتحدد هذه الطريقة الأسلوب الأدبية المكتوب به النص، والتاريخ، والكاتب، والقراء، والمتوازيات .. ويستخدم المفسرون المؤمنون الأمانة المدخل النقدي بغرض فهم الوصول لفهم أكمل وأكثر للنص. رام، (ص59-92).

³⁷ Dennis Johnson Him We Proclaim p.101

³⁸ Christopher Hall, *Reading Scripture with the Church Fathers*, p. 192

³⁹ Klein, Dr. William, Blomberg, Dr. Craig, *Introduction to Biblical Interpretation*, p. 41-42

⁴⁰ Ramm, pp.59-92

⁴¹ Kaiser p. 62

⁴² Kaiser p. 62-63